العمل على ذاكرة ما بعد الحرب
لا جدية في مقاربة 15 سنة من التاريخ

"تنذكر ت ما تنعاد". عبارة يرددها اللبنانيون كل سنة في ذكرى بداية الحرب الأهلية. اذا "ت ما تنعاد، يكفي ان نتذكرها"، وان نقول اننا نحب بعضنا البعض، ونشبه بعضنا البعض، ومجبرون على العيش مع بعضنا البعض. يكفي ان نكرر كل هذه المجاملات والأكاذيب. ان يسمعها بعضنا للآخر، وهذا كفيل بعدم تكرار الحرب.

علي منتش

صدق زياد الرحباني "اذا كلنا اخوة... شو في لزوم تضل تقولها؟". لا لزوم لتأكيد المؤكد اذا كان مؤكداً. لكننا نكرر بعض العبارات لنصدق محتواها. لأنها في الحقيقة غير صحيحة. ولأننا فقط نقول في مجتمعاتنا غير الذي نقوله في منازلنا.

بهذه الطريقة نكون بعد 37 سنة من 13 نيسان 1975، لم نخط اي خطوة نحو ادارة ذاكرة جماعية. لم نقم باي عمل فعلي بعيد عن الخطابات والمجاملات والشعارات لنبني هذه الذاكرة. لم نخرج اجيال ما بعد الحرب من الاصطفافات التي ادخلتنا فيها. نحن في هدنة طويلة الأمد.

من هنا ينطلق لقمان سليم مدير مركز "أمم" للتوثيق والأبحاث ليؤكد اننا في لبنان لا نهتم بموضوع الحرب الأهلية الا في ذكرى انطلاقها "وفي احسن الأحوال في فترات المشكلات التي تذكرنا بها، كما حصل أخيراً عندما نوقش منهج كتاب التاريخ. لقد اصبح 13 نيسان كعيد الفصح، ذكرى نحتفل بها كل سنة. وبعدها لا شيء. من الضروري ان نأخذ على محمل الجد ان هذا البلد حصلت فيه حرب لمدة 15 سنة. يجب ان يكون هناك اهتمام جدي بهذا الملف وعدم اهماله". وسأل: "ما هي اسهل طريقة ينتقد بها السياسيون بعضهم؟ أليس التذكير بتاريخ بعضهم البعض؟ كما ان ثقافة العفو التي كرّست بعد الطائف لم تكن ناجحة، لذلك ربما بدأ التحول في حياتنا السياسية منذ اغتيال الرئيس رفيق الحريري".

التحول بدأ وفق سليم عندما فرض قرار انشاء المحكمة الدولية رغم عدم موافقة جزء من اللبنانيين عليها، لأنه بعد المحكمة باتت سياسة العفو جزءاً من الماضي وأصبحت العدالة تؤخذ على محمل الجدّ. من هنا يبدو ان هذا التغيير الذي حصل أدخل مفردات جديدة كالحقيقة وغيرها. كل هذا من الامور التي تحصل من دون ارادتنا وتساهم في ادارة الذاكرة وتحصين المجتمع. وهناك امور اخرى تقوم تؤدي الدور نفسه وهي تلك النشاطات التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني، والشباب وغيرهم".

ويرى سليم ان العمل على التذكير بالماضي هو جزء من أجندة سياسية تطمح الى التأثير على جينات الثقافة السياسية، "ليس علينا ان نتصالح فقط مع ماضينا، بل ان نتصالح مع قيم ما بعد الحرب العالمية الثانية بكليتها. آن الأوان لتدخل ثقافتنا السياسية في لحظة تغيير جوهرية".

لكن ماذا عن جيل الشباب الذي سمع عن الحرب ولم يعشها؟ هذه الفئة يرى سليم انها تلحق انقسامات في المجتمع، "اليوم، عندما تتحدث الى شاب تجده كالحارس الأمين على مخزون ذاكرة والده. هم كغيرهم من الفئات. عليهم ان يأخذوا انفسهم كأفراد على محمل الجدّ، لكي نخرج مما خلفته الحرب من جماعات مصنفة. وهذا جزء من العمل على الذاكرة والمواطنة ,الامور التي تبعدنا عن الحدود المرسومة بين مواطن وآخر".

واذ يؤكد ان "لا وصفة سحرية تحلّ كل هذه الأمور، ولا يمكن حلّها دفعة واحدة"، يعتبر ان الأهم "ان نصل الى مرحلة يتجنب فيها الناس توسل العنف لحل خلافاتهم. هذه الامور تتطلب مساراً طويلاً يندمج فيه الناس مع بعضهم، ويتفقون ضمنياً على ان خلافهم لن يؤدي الى تقاتلهم". ومع ذلك "ثمة امور بديهية يجب على اي دولة خرجت من حرب ان تقوم بها، كالعمل مع التلامذة وجعلهم يتقبلون انهم من مناطق وانتماءات مختلفة، ورغم كل هذه الاختلافات يمكنهم ان يعيشوا معاً. كما يجب انشاء متحف عن الحرب وأمور بديهية يجب العمل عليها". ويضيف: "تقوم امم بالعديد من المشاريع التي تهدف الى ادارة الذاكرة الجماعية للبنانيين لعل اكثرها ميدانية مشروع الباص الذي يختلف عن باص عين الرمانة والذي سنفتتحه في 12 نيسان (اليوم). وسيقوم بجولات على مختلف المناطق من اجل المساهمة في بناء نقاش من خلال عرض افلام، او اقامة معارض واجراء حوارات بين الشباب. كما هناك مشروع "ديوان الذاكرة اللبنانية" وهو قاعدة بيانات تظهر الامور كما هي. والمشروع الثالث هو سلسلة اصدارات تحت عنوان "من الحادث الفردي الى تهديد السلم الاهلي"، فبرأينا الحوادث الفردية تظهر ان الحرب مستمرة".

من جهته يعتبر رئيس جمعية "فرح العطاء" ملحم خلف ان الذاكرة عوامل تراكمية، وهي عملية تسليط الضوء على ما كان اوجاعاً وفي الوقت عينه العمل لعدم تكراره "كما انه يجب ألا تكون الحرب في ذاكرتنا بطولات قمنا بها. الحرب هي 200 الف قتيل وآلاف الجرحى والمشردين والتدهور الاقتصادي". ويضيف: "المشكلة في لبنان هي في ازدواجية القول والعمل. ينقصنا المصارحة، على مستوى الذات لكي نقوم بفعل التوبة ولكي نقارب المستقبل. اما بين المصارحة والمصالحة فهذا لا يبنى الا بالعمل والجهد المستمرين".

ويرى ان النزاعات التي نشهدها في لبنان "كبيرة جداً وهي التي تعرقل تراكماً مثالياً للذاكرة والذي نحن في طور تأسيسه في لبنان. لكن الوصفة السحرية للوصول الى بناء ذاكرة جماعية وادارتها بعد 20 سنة من انتهاء الحرب هي العيش معا، فهو يبني صداقات تترجم برابط التعاضد على المستوى الوطني الذي هو الاساس لجمهورية المواطنة". ويشير الى ان "فرح العطاء" تبني من خلال المنتسبين اليها للوصول الى هذه الاهداف عبر جمع الأولاد والشباب في مخيمات مشتركة، اضافة الى ما نقوم به من بناء لمدارس وترميم اخرى، وتأهيل سجون والعمل مع الناس في مناطق النزاعات مثل باب التبانة وجبل محسن".

ali.mantach@annahar.com.lb